

فلسفة الارتقاء الأخلاقي في النظام التربوي التربوي عند سبنسر (منحى لفهم الارتقاء الأخلاقي لنظام تربوي عقلي)

د. هشام محمد خلف
جامعة بغداد / كلية التربية للعلوم الإنسانية / ابن رشد
قسم العلوم التربوية والنفسية

الملخص:

البناء الأخلاقي هو بناء مجتمع بالكامل عن طريق النظام التربوي إذا كان في الأسرة أو المدرسة والكل في ذلك مسؤول ابتداءً من الفرد إذ هو مسؤول عن نفسه وأسرته، وبما أن الأخلاق في جملتها هو اكتساب من الأب أو الأم أو الأسرة أو المجتمع أو من الجميع فإذا (وكل نفس بما كسبت رهينة) هو الذي يكفل للأفراد معرفة ما هو بنائهم الأخلاقي، كي يكون هذا الاكتساب سليم البنين والمبدأ الأساسي هنا أن الأخلاق سلوك الفرد في ذاته ومجتمعه وهذان لا يمكن لهما الانتقاص من أهمية كل منهما، فمن سمات المدنية الحديثة الخلط والدمج وعدم التمييز بين البشر كي يتماشى هذا مع الواقع الأخلاقي السليم، وحتى يتم التطور والارتقاء فلا بد من الأخذ بالحسبان النظام التربوي فإذا أراد شخص ما معرفة ثقافة مجتمع ما ومستواه الأخلاقي ومدى وعي ذلك المجتمع فليسأل عن واقعهم التربوي النظامي والأسري، وكيف هذا الواقع غرس في أناسه القيم ومبادئ الأخلاق؟، فالأخلاق السليمة هي واقع نتيجة ذلك المجتمع الذي عرف كيف ينمي ويرقي أفراداً؟، وكيف يعزز الممارسات الأخلاقية الجيدة؟، وكيف يتابع مجتمعه في تلك الممارسات على نحو طبيعي؟، فكل مظهر من مظاهر الحياة السليمة يحدث باستمرار وباختيار السلوك الطبيعي الذي تثبتت صلاحيته في خبرة المجتمع، فحدث بعد ذلك اختيار الارتقاء والتطور ظل المقياس الأساسي في ذلك التطور الثقافي للإنسان في مسالة في غاية الخطورة وفي غاية البساطة وهو الميدان الأخلاقي .

**Moral philosophy of improving the educational system when
structural Spencer
Oriented to understand the moral upgrading of the
educational system, mental**

Assist. Prof. Dr. Hisham Mohammed Khalaf
University of Baghdad /College of Education / Ibn Rushd for
Humanitarian Sciences
Dept. of Educational and Psychological Sciences

Abstract :

Moral construction is to build a whole society through the education system if it is in the family, school and all the official beginning of the individual as he is responsible for himself and his family, including that of morality on the whole is the gain of the father or mother or family or community, or from everyone. If (all the same, including earned hostage) that ensures for individuals to know what is the moral they construct, so this acquisition is of sound architecture basic principle here that the morality of the individual's behavior in itself and society, and the two could not have detract from the importance of each of them, it is a modern confused civil attributes and mergers and non-discrimination between humans Kid is in line with the reality of moral sense, until the evolution must be taking into account the educational system. If someone know a culture and level of moral community and the awareness that he wanted the community can ask for their reality educational regulars and family, and how this reality instilling in his people the values and principles morality ?, sound morality is a reality as a result of that community who knew how to develop and elevating its members? and how it promotes good ethical practices? How is following his community in such practices as normal?, every manifestation of life sound constantly happening and choose the natural behavior that proved its validity experience in the community, it came to pass then choose to upgrade and develop the basic measure under the cultural evolution of the human being in a very serious matter in a very simple moral ground.

المقدمة:

سعت الدراسة لإبراز الفلسفة الأخلاقية في البعد التربوي للفيلسوف الانكليزي هربرت سبنسر (١٨٢٠ - ١٩٠٣ م)، من خلال طروحاته الفلسفية في الأخلاق والتربية خدمة لإيجاد وكشف الخطى الحثيثة في الواقع الاجتماعي عن طريق عمليات تطبيقه يرسم بها مستوى عالي من النمو الأخلاقي داخل الإنسان لیسمو في ظل نظام أخلاقي وتربوي سليم، وهذا الجانب لم يتم تسليط الأضواء عليه مثلما أخذت باقي الأبعاد الفلسفية والاجتماعية لسبنسر بالبروز والشهرة، إذ أمسى هذا الجانب خالٍ، وكتابه (التربية) خصوصاً بعيداً عن أنظار الباحثين والدارسين، وسعياً من الباحث لإبراز هذا الجانب المهم لفيلسوف عد من الأعمدة الأساسية للفلسفة والاجتماع في العصر الحديث والمعاصر وكذلك لعلم الاجتماع التربوي وهو علم حديث النشأة*.

إن مثل هذه المسائل المعقدة في حقل الفلسفة والتربية والاجتماع لا يمكن الإغفال عنها في الدراسات اللسانية المتضمنة في مسألة واحدة هي الأخلاق، وهذا هو صميم مشكلة بحثنا، إذ بدت في واقعها الفلسفي في غاية الأهمية وما أوجنا إليها الآن في واقعنا التربوي والاجتماعي، إذ ركز سبنسر على فكرة التطور فيها، راسماً الارتقاء الأخلاقي (فلسفياً وتربوياً) لها، والذي سبقه في ذلك الفيلسوف الاجتماعي الفرنسي أوجست كونت بها، مؤكداً إن كل التعقيدات في الواقع الاجتماعي يصاحبه ارتقاء معرفي لذلك الواقع المعقد، فالمجتمع عنده كائن حي ومعقد ومتوازن، وعن طريق العملية التطورية الطبيعية يتوازن تطوره فيها، سعياً منه في ذلك لإثبات نموه وتكيفه الذاتي ويأتي ذلك عن طريق رسم معالم الأخلاق التربوية ونظامها مع مباحث العلم الطبيعي الإصلاحي، وذلك بإتباع الإرشادات الطبيعية والعقلية، ولهذا ساهم سبنسر في وضع معالم لواقعه الأخلاقي في طرحه كتاب خص التربية وتحديد التنوير العقلي والأخلاقي والبدني فيه، ليوضح لمجتمعه مدى الحاجة لنظام تربوي مبني على القواعد العقلية والأخلاقية لذلك النظام، وسعياً منا إن نبرز عملية الارتقاء الأخلاقي في كتاب التربية لسبنسر وهذا هو أهمية بحثنا، والذي لم يأخذ حقه في مجال البحث والتمحيص من قبل الباحثين والدارسين في المجال الفلسفي والتربوي مما جعل هذا الأمر بادرة مهمة للبحث والتنوير في المجال الأخلاقي والتربوي، مبنياً على رؤيته الفلسفية في إن العالم جارٍ على فلسفة الارتقاء من البسيط إلى المركب (التباين) ومن الانغلاق إلى الانفتاح (التكامل) فالاهتداء بسنة الطبيعة هو منهجنا للإصلاح ومن ثم الارتقاء ومن ثم الابتعاد عن كل ما هو شر للمجتمع، وعليه فقد سلطنا الضوء على أهم مسألة، واقعها النظري الفلسفة التطورية وواقعها العملي الأخلاق والتربية ونظامها الارتقائي بعيداً عن التعسف والجور، وإما هدف البحث فهو يأتي على هيئة تساؤل: ما الارتقاء الأخلاقي الذي قدمه سبنسر في كتابه التربية لميدان فلسفة التربية

الأخلاقية ونفع به مجتمعه، والذي يخدم بدوره واقعنا الأخلاقي والتربوي والفلسفي في إطار مجتمعنا.؟

قسم سبنسر فلسفته في الارتقاء حسب مدلولاتها التطورية لثلاثة :

أولاً/ فلسفة الارتقاء الطبيعي (Philosophy of natural upgrade):

برز هيربرت سبنسر في دراسة أخلاقيات المجتمع من خلال مجموعة قيمة من الكتب^١، أراد بها نشر سلوك أخلاقي علمي مبني على مقتضيات المجتمع الحديث، وتحديد السلوك والفعل الجيد ودفعه إلى مراحل التطور الأخلاقي (Stages of moral development) في نظام ارتقائي اعتمد فيه أساساً على قوانين التطور في شمولية علمية مفادها (الاستمرار Continuation)، وهذا القانون يعني باستمرار القوى ثم عدم فناء المادة وعدم التخلي عنها ومن ثم دمج الاثنان معا في قانون ثالث هو الاستمرارية وحركة المادة (Movement Article) أو (الأشياء)^٢، ولهذه القوانين خصوصية في فلسفة سبنسر التطورية في الارتقاء، وهي: إن في قانون الاستمرارية قوة عليّة نهائية، والقانون الثاني مادي غير فانية، والثالث استمرار الحركة^٣، وهذا يشير إلى إن الطاقة والقوى في القانون الأول تتحول من شكل إلى آخر وتستمر في هذه العملية، وهذا دلالة على القانون الثاني الذي لا يفنى المادة عن طريق حركة القانون الثالث ومن هذه القوانين يتسم لنا قانون اسمه التطور، وهذا يتسامى للوجود كله وبما إن الحياة الاجتماعية مشابه للحياة البيولوجية^٤، وحسب ظن سبنسر فهناك قصدين لذلك وهما :

أولاً/ التباين:

وهي الحركة من المتجانس البسيط إلى المركب غير المتجانس (التمايز) وهذا يفرز لنا التخصص، ثانياً التكامل: بما إن ظاهرة التباين تقرر لنا التخصص والاستقلال فهناك عوامل أخرى تحرك ظاهرة التكامل مع التباين والاثنان يؤديان إلى تماسك الأجزاء مع بعضها البعض من خلال الوظائف^٥.

يرى سبنسر أن المجتمع ما هو إلا جزء من هذا النظام الطبيعي، والذي يصاحب في ذلك التمايز التقدمي (Progressive differentiation) والنشوء الارتقائي المبني فيه على ذلك التمايز حدوث الوظائف، لان جميع الأعضاء يؤدي وظيفة معينة فيه، وعن طريق ذلك المركب في الكائن العضوي وهذه التنظيمات في الأعضاء تؤدي إلى وظائف مختلفة في المجتمع^٦، فلهذا جعل سبنسر من فلسفته الاجتماعية محاولة معرفية لكيفية نشوء المجتمع وتفسير خصائصه وأسبابه في التكوين من هذه التنظيمات وعناصرها وتراكيبها، لتشكل تلك المراحل للنمو والارتقاء ولجميع المظاهر التي أوجدتها هذه الهيئات الطبيعية والنفسية والاجتماعية والحيوية والمعرفية وجودها الفعلي، وعليه فإن تلك الهيئات وجدت نفسها في المجتمع الإنساني أكثر من غيرها من المجتمعات

الأخرى، ولذلك دعت تلك المجتمعات إلى عمليات تطور عضوية اسمها (التطور فوق العضوي) (Organic evolution over) وهذه من خصوصية المجتمع الإنساني وجلها^٥.

ثانياً/ فلسفة ارتقاء المجتمع (Philosophy elevate society):

طرح سبنسر مشروع تطبيقي وهو إن كل معرفة علمية تسهم وتهدف في تطوير والإسراع والتقدم في المجتمع الإنساني مبنياً في ذلك على جانب التغيير الاجتماعي، ويأتي هذا التغيير من خلال التقدم العلمي الذي يرفع من شأن المجتمع وهو إقرار أقره الكثير من الفلاسفة الذين سبقوه وعاصروه^٦، وبين إن هذا التطور الحتمي والتغيير لا يتأتى من خلال البعد السياسي والاصطلاحات الجذرية للدولة، بل عن طريق التطبيق العملي لعلم الأخلاق في المجتمع والذي يستعمل به، المنهج العلمي الوضعي المبني على الملاحظة والتجربة والإثبات العملي والبرهان والمقارنة، وذلك من أجل فهم النظام الاجتماعي والدفع فيه نحو التطور إلى مجتمع مثالي^٧. وقد رأى إن تكوين المراحل التاريخية المعينة في المجتمع الإنساني على مر السنين أدى إلى تكوين فكرة جيدة مفادها التطور الحتمي^٨، فمثلا الأسرة وحدة بيولوجية تسيطر عليها الغريزة الواعية، وهي خضعت إلى هذه الفكرة أيضاً، إذ كان رب الأسرة هو الحاكم والقاضي والاقتصادي، انتقلت هذه الوظائف منه إلى كل عضو في الأسرة وأصبح كل عضواً له وظيفة^٩، لان التقدم عن طريق هذه المراحل التاريخية للمجتمع الإنساني يقدم لنا معرفة يقينية كانت الأساس الذي بني عليه هذا القانون في التطور، إذ أشار إن الأمر أصبح حتمياً بل أمر قطعي، لان التقدم المعرفي لا نهائي كان دائماً يقترب من المعرفة الوضعية (Knowledge positivism) والتي هي حتمية لنا ولكننا عجزنا عن إن ندركها، والسبب لان المجتمعات في الموضوعات الجامدة التي لا حياة فيها هي من جعلتها موضوعات حية لتلك المعرفة^{١٠}، وهذا في حد ذاته تغيير جعل أسلوب الفهم العلمي مبني على العقل، ويذهب في تفسيره للظواهر في كونها قانون حتمي طبيعي تم استدراجه على هيئة ظواهر بنسبها إلى القوانين التي تحملها^{١١}، وما تلك إلا أسباب مباشرة أثرت فينا، إذ أشار بان الحياة الاجتماعية تحكمها ظواهر تجعل من المجتمع يتميز بتكامل الكل واختلاف الأجزاء وهذا هو التطور الحتمي لجميع التفاسير التي يتم فهم الظواهر بها، فكما نفسر ظاهرة النمو إلى العوامل الطبيعية والبيولوجية والسيكولوجية فهي في ذلك ما هو إلا حكم القوانين المؤلفة لهذه الظواهر^{١٢}. وعن طريق هذا الاكتشاف الحتمي وضع نظريته في التطور الاجتماعي (Social evolution)، فقد مثل ذلك في المجتمع الرأسمالي الذي انتهى المطاف به في نهاية الأمر إلى التقدم، وهو في ذلك كسب أرقى صور للتطور الاجتماعي، وفي مسعى آخر نجد إن سبنسر ركز على هذه الظواهر من خلال التنشئة الاجتماعية للجميع، كون اكتساب المعرفة عن طريق النظام التربوي يجعل من المجتمع في أوج عطاءه في التغيير والتطوير^{١٤}.

ثالثاً/ فلسفة ارتقاء التربية (Philosophy improve education):

أشار سبنسر في مقدمة كتابه (التربية) إلى موضوع خص فيه القيم النسبية (Relative values) التي يعمل بها المجتمع في التربية، محاولاً إلى فهم تلك القيم وعن كيفية فهمنا نحن لها في إحكامنا وأذهاننا، فحكمها لا يمكن اقتداء به في الواقع التربوي، لأسباب أهمها أن وقت التعليم قصير ولا يدعونا لتحصيل المعرفة منها، لأن هذه القيم تتدرج في أمر التعليم ويعطى لها تقدير مختلف إذ وقع التقدير عليها فقط وهذا غير ممكن، وليس العمل أو إدراجها في الواقع الفعلي يصبح ممكننا، فلماذا يجب علينا ونحن نعلم أولادنا ان نعطي لهم ما مقدار القيمة العملية لهذه القيم النسبية^{١٥}، لأن مقياس القيم فيها لا تعتمد في واقع تصورنا على مالها من فضل وقيمة لي أو في حياتي كونها نسبية، وعليه فان سؤالنا الأكبر في وصف سبنسر لهذه القضية ليس لخصوصية الحياة المادية بل هي عامة من حيث جهتها ووجودها، أن حسن قيام العقل والبدن والإشغال والعائلة هي ما شرعت به لنا الطبيعة^{١٦}، ومن ذلك نستدل على ما تحتاج معرفته وجب على التعليم إن يبين مقاصده، من حيث الخطط التي تعطي للطالب العيشة الكاملة وليست العيشة النسبية^{١٧}، وهي كيف نعيش في أكمل عيشه؟ وهذا يترتب من إن عمل التعليم هو إعداد أنفسنا لعيشة الكاملة، وليست هنا معنى للقيم النسبية في تعليمنا وتربيتنا، وكذلك في صميم فلسفة التربية لسبنسر، إذ أكد على الإعداد الكامل للعيشة والقيم للطالب، إذ قال ((إن واجب التعليم وعمله إنما هو إعداد أنفسنا للعيشة الكاملة، فإذا أردنا أن نحكم على إحدى خطط التعليم، فلا ينبغي أن نقطع فيها حكماً إلا من جهة إعداد الطالب للعيشة الكاملة ومبلغها في سبيل هذا الإعداد، وهذا يجب أن يكون مقياس قيم المعارف))^{١٨}، وعليه استبعد القيم النسبية في التعليم المبكر .

وبما إن القيم مؤثرة في واقع التربية والتنشئة الاجتماعية وخصوصاً مرحلة الطفولة، فواجبنا أن نضع بالاعتبار مقياس قيم المعارف بأنها قاعدة أخلاقية لأننا استبعدنا منها النسبية^{١٩}، وكما اسمها سبنسر مقياس تقدير القيم (Scale estimate values) وليس تقديرها فقط، وإنما إتقان هذه القيم والثبات عليها في تربية الطفل، وإن نرتفع عن أتباع أهواء الناس في ذلك وهو أشق أعمال التربية^{٢٠}، فأكد سبنسر على أعمال التربية الرئيسية والتي يحتاجها الفرد في حياته وفي صيانة نفسه وبان نحفظ العلاقات الصالحة في المجتمع بها ونحافظ عليها وبان نسعى إليها في تعليمنا وتربيتنا، وذلك لأن ما أجملته لنا الحياة نحتاج إليه في حياتنا ولأنفسنا وللمجتمع كذلك، إذ أشار ((الأعمال الرئيسية التي تتألف منها الحياة بحسب أقدارها وهي : الأعمال المبذولة في صيانة النفس مباشرة والإعمال المبذولة في صيانة النفس بواسطة إحرار المعاش والإعمال القائمة

بتربية النسل وبحفظ العلاقات الصالحة من سياسية واجتماعية وتصرف في سبيل اللذات والشهوات))^{٢١} .

ولما كان عمل التربية هو أساس إدماج الفرد في المجتمع فلا بد أن نسعى لهذه الأعمال وان نرتبها ترتيباً سليماً، وذلك غايته هو صيانة النفس وحفظ روح المجتمع^{٢٢}، وهذا من الأشياء الهامة لان واقع هذه القضايا تشكل أبعاد في طلب العمل وطلب الرزق فهي من ضروريات حياته وليس للتربية فقط، وكذلك عكست هذه على الأعمال القائمة في تربية النسل كما وضحا سبنسر، وبذلك يكون لنا صلاح في العلاقات الإنسانية والاجتماعية لا بل حتى السياسية^{٢٣}، لأنها أخذ عليها طابع في استقامة الأخلاق وهذه الاستقامة هي من صفات الإنسان في المجتمع^{٢٤} .

إن هذه الأعمال الرئيسة مبنية على حسن قيام بواجبات المجتمع الإنساني توجب عليها إعداد الطالب على أمور تتعلق بالأداء التربوي والتي انقسمت فيها إعمال التربية إلى هيئة أقسام عند سبنسر وهي على هذا النسق الآتي:

- ١- التربية المعدة لصيانة النفس مباشرة .
- ٢- التربية المعدة لصيانة النفس بواسطة إحراز المعاش .
- ٣- التربية المعدة للنسل .
- ٤- التربية المعدة لحفظ العلاقات الاجتماعية والسياسية .
- ٥- التربية المعدة لفنون الملاهي^{٢٥} .

إن السعي في الارتقاء التعليم هو سعي لقيام في إعداد الطالب لأقسام المعرفة عن طريق الإعداد الصحيح للتربية، وعليه وجب النظر في أبعاد تربية المجتمع والتي أساسها الأخلاق، فعند توظيف هذه الجهود في النظام التربوي فما هي إلا التفاتات تشمل بها أنفسنا والمجتمع على سمو قيمة هذه النفوس من الجانب الأخلاقي كونها تعطي أهمية حول القيم العظمى متحاشين القيم الأرخص وهي النسبية^{٢٦}، ولما كانت المعارف تبرز فينا القيم الثابتة والكاملة فإنها جهة أقدارها تنقسم إلى ثلاث أقسام، إذ أشار سبنسر في تلك الأقسام ((فأولها ما كان ذا قيمة ثابتة لا ينقص منها الدهر ولا الحوادث وثانيها ما يكون ذا قيمة يكون بقاؤها رهنا ببقاء شي من الأشياء والثالث ما كان لا قيمة له إلا في إصلاح الهيئة الاجتماعية))^{٢٧}، وقد رمز سبنسر للأولى بقواعد العلوم الطبيعية، والثانية لها فائدة جديدة باقية معنا إذا ما ثبتت فينا هذه الفائدة والتي أبرزتها التربية فينا، أما عن الثالثة فأفتى بعدمية المعاني فيها وهي ما اسماء أساتذة التاريخ كذبا وافتراء والواجب تحسينها عن طريق التربية، بل تتداعى علينا الحياة بأعمال متسلسلة الأقدار، نرى في إصلاحها هو ارتقاء للواقع الأخلاقي وان كشفها في واقعنا التربوي لهو أبرزاز القيم الثابتة في أخلاق المجتمع^{٢٨}، والتي أثبتتها وركزتها في داخلنا العصور والأزمان، وعن طريق البعد الطبيعي التي

حفظته الطبيعة في سلوكنا وغريزتنا سوف نحفظ النفس وسلامة البدن بالفرار من ما هو غير ثابت ومجهول^{٢٩}، ومن ذلك فلم يبق علينا إلا إطلاق سبل الطبيعة في تعليمنا وهذا ما شخصه سبنسر في مثال (الطفل والغريب)^{٣٠}.

ربط سبنسر واقع جهل الإباء بقوانين الحياة بالإبعاد التربوية، إذ سعى لكشف عن حقوق الناشئ لدى الوالدين على وفق قوانين الحياة بالأقسام التي قسمها في واقع التربية وجعل هذا الجهل هو بمثابة مرض أو داء يصيب العضال في الجسم التربوي، لان ذلك يبرز للناشئ سلوك سيئ وهذا جزء خطير يصيب الأخلاق والحياة والنسل، ومن أهم قوانين الحياة هو عدم اهتمام الإباء بتغذية الأطفال وكفايتهم من الطعام، وكذلك لا يجوز إبعادهم عن اللعب والمرح وهذا ما ينافي الغريزة التي أودعها الله فيهم لان الحركة فيها نمو لجسمهم فيؤدي جهلهم بعدم السماح لهم باللعب إلى تعطيل في بعض أجزاء الجسم^{٣١}، ويرد جهل هؤلاء الإباء في دفع أخطائهم بتبرير ذلك على أنها مصيبة من الله وحجتهم فيها هو القضاء والقدر وهذا غير صحيح، ولا يدركون بان جهلهم بقوانين الحياة هو السبب المباشر، ولذلك سعى سبنسر إلى معرفة الإباء بأداء واجباتهم التربوية وفي مساعي الحياة وقوانينها نحو أبنائهم والواجب الأخلاقي بالحياة والنسل والإصلاح في المجتمع حتى لا يكون الوهن من سلوك تربيته^{٣٢}.

إن مراعاة ربط الحقوق بالمعرفة السليمة بأنه واجب على الإباء، وإدراكهم بأنه واجب الإلهي وانه من مساعي تربيتهم في ذلك أيضا^{٣٣}، معتقدا سبنسر في ذلك أن في أدراك التعليم والمعرفة للإباء هو دواعي للارتقاء الأخلاقي داخل المجتمع، ومن ذلك لابد من التركيز على إبعاد المعرفة في الجوانب التربوية حتى يتم الارتقاء الأخلاقي بالتركيز على تربية الإباء عن طريق الوعي دون الجهل بالمعرفة السليمة، لان توليد المعارف من قبل الإباء هو من ضمن المسلمات التي يرتقي بها المجتمع وإبراز ثمرة جديدة انتمت للتطور الأخلاقي والارتقاء به^{٣٤}، كذلك ركز سبنسر في دعوته على الإباء في المعرفة القواعد السليمة للتربية خصوصا عندما تكون الزوجة الصغيرة، من حيث عدم المعرفة وعدم الوعي بالأمور التربوية بسبب صغرها إلى خلق عاقبة أخرى في التربية الأخلاقية ومن ثم الارتقاء الأخلاقي، لا وبل في التربية البدنية (Physical education) في ذلك لعدم الخبرة وعدم الاستبصار بتعليمات الأجداد وأساتذة التربية عند تعليمها في ذلك ملوحا ((ليس الجهل الآباء وعاقبته في شأن التربية الأخلاقية بأقل منهما في أمر التربية البدنية فانظر إلى الزوجة الصغيرة الحديثة العهد بزمن الدراسة كيف يكون خطبها وتعسفها إذا رزقها الله طفلا ولا عجب في ذلك فقد قضت في المدرسة حيناً من الدهر لم تشتغل إلا بسفاسف قليلة الجداء، فأما ملكاتها الخاصة بالتبصر والتدبر فأهملت اغلب الإهمال حتى لم يخطر بذهن الأساتذة أن يمدوها بفكرة واحدة فيما يتعلق بتربية الولد))^{٣٥} وكذلك ربط إهمال الأستاذ أو المعلم بقضايا التعليم التي

تخص علم النفس والتربية وخصوصا التربية العقلية منها جورا وإجحافا على الناشئ، عن طريق ما تطلبه عقول الطلبة من معارف لشدة حاجاتها لهم هو استهتار بالارتقاء الأخلاقي والإنساني في آن واحد، لأن غياب المعلومات الضرورية على ذهن الطفل كونه في طبيعته متطلع لها واكتسابها ما هو إلا مصيبة وفساد على واقعنا التربوي والتعليمي ومن ثم الأخلاقي والاجتماعي^{٣٦}، وعليه فقد يتوقف واقع التربية البدنية والأخلاقية والعقلية إلى أسباب أهمها جهل الإباء وقله الخبرة للام كونها غير الملمة بأمور التربية وإهمال المعلم للواقع النفسي من خلال إهماله بعدم أهمية تعليمه الجيد للطلاب، وما ذلك إلا دليل للفساد في الأخلاق مع واقع العقول والأبدان^{٣٧}.

إن استنتاجاتنا لجملة الأمور هذه في أن سبنسر ركز على معرفة قوانين الحياة والتي حددها هو بالقواعد الأولية لكي تعطي معالم ارتقائية لواقعنا الأخلاقي، عن طريق تركيزنا في التربية على هذه القواعد فقط، بل مع ربط ذلك بمسلمة لم تغيب عن باله وهي من القواعد الهامة من حيث الأهمية التربوية وهي فسيولوجيا (علم وظائف الأعضاء) والسيكولوجي (علم النفس) معللا ذلك في القول ((إن نمو الطفل جسميا ونفسيا لا يقوم إلا بقوانين معينة، وإن إهمال هذه القوانين البتة سائق لا محالة إلى الموت، وأنه أن لم يكثر من أتباع القوانين المذكورة، فلن يسلم الجسم والنفس من الأضرار الخطيرة، وأنه لا يستطيع الوصول بالنفس والجسم إلى أكمل حالات الصحة والعافية إلا بتمام أتباع تلك القوانين، فهل يصح للإباء بعد كل هذا أن يفرطوا كل التفريط في أمور التربية))^{٣٨}.

يرى سبنسر أن فضل العلم الطبيعي على جميع المعارف وخصوصا في التربية الأخلاقية يعود لسبب أن هذا العلم يساعد الطالب على التفكير الذاتي وهذا ينشأ استقلال في نفس عناصر الخلق^{٣٩}، ويلوح كذلك على أن هذا العلم (العلم الطبيعي) يرمي بفوائد على الواقع الأخلاقي والارتقاء فيه، لأنه دائما يتحرى على ما هو واجب وعلى منهج حر يأتي من خلال المثابرة والإخلاص^{٤٠}. يضيف في ذلك سبنسر أن للعلم الطبيعي فضلا على تهذيب الديني، وبعبارة أخرى أن ما يحمله الدين من سمو أخلاقي وقوى ساعية للخير ما هو إلا دليل على جوهر الدين الأخلاقي (Moral religion)، الذي هو منبثق من حقيقة الروح الساعية إلى الخير في العلم الطبيعي، لأن لا يوجد شيء منافيا ما بين العلم الطبيعي والدين لأن مصدرهما هو الله سبحانه وتعالى^{٤١}، لأن من سببا العلم الطبيعي الاحترام الشديد والإيمان المحض لله وهذا في حد ذاته ارتقاء أخلاقي مستقر في جميع الكائنات^{٤٢}، ولهذا نرى أن الطالب عندما يعرف العلم الطبيعي يؤمن بعد كثرة التجارب بالعلاقات الكونية الثابتة، وهي تابعة من حيث العلاقة ما بين السبب والمسبب ولهذا فهو يؤمن بالنتائج الحسنة التي هي تشكل محور أخلاقنا وارتقائنا^{٤٣}، فلهذا أن على طالب العلم الطبيعي أن يؤمن بان هذه القوانين لها خالق نخضع له جميعنا ولجميع قوانينه

المحتومة النافعة، وكذلك هو يعلم أن أتباع تلك القوانين مصحوب بارتقاء العالم من حيث السعادة والكمال الأخلاقي^{٤٤}، فهذا لا بد أن نجعل من تلك القوانين الطبيعية مصدرا أساسيا لواقع تربيتنا فمصدرها إلهامنا بالإيمان المحض وهو الارتقاء الأخلاقي ولزوم الطاعة في ذلك واجبة وهذه هي الروح الدينية^{٤٥}.

أوضح سبنسر أن حقيقة إدراكنا وعلاقتنا بأسرار الوجود هي واجبة الاحترام لأننا لا ندرك أدراك المسبب الأول (الله) وهذا هو في حد ذاته واجبا الأخلاقي الذي يجب أن نعول عليه في تربيتنا فالواجب الأخلاقي أن ندرك إن العقل الإنساني والعلم يقف عاجز في اغلب الحقائق الكونية^{٤٦}، إذ قال ((فبينما ترى العلم يقف أمام التقاليد وأراء الرجال وقفة المترفع المتكبر، إذا به يضرع ويعنو أمام ذلك الحجاب المنيع الذي يستر مالك الملك))^{٤٧}

أشار سبنسر إلى أن العلم الطبيعي هو الأفضل من باقي العلوم من حيث الرياضيات الذهنية والأخلاقية والدينية وهو محل فخر الارتقاء التربية والأخلاق، والسبب يعود لذلك لارتقاء المستوى الاجتماعي الذي جاء عن طريق البيئة المعاشية (Pension environment)، حيث المعرفة المستمرة مبنية على خواص الأشياء وعلاقته^{٤٨}، وكذلك ليطلق سراحنا من أغلال الخرافات الفاحشة فتلك العلوم الطبيعية هي مسارات قانونية لواقع تربيتنا ولأخلاقنا^{٤٩}، وهي التي من واجبا الحتمي أن نستدل أن الله إستوى على عرش الملك بما له من التربية العليا في قيمه والحس^{٥٠}. أن سلامة عقولنا في تهذيب سلوكنا الأخلاقي التي ارتكزت عليها تلك العلوم عن طريق علومها في أسرار الطبيعة والتي تعكس هذه القوانين إحكامها الأخلاقية عن طريق سلوكنا وارتقاء أخلاقي في ثمرات إبعادنا في النظام التربوي التي نستند عليه^{٥١}.

فلسفه التربية في الارتقاء الأخلاقي لدى سبنسر :

يرى سبنسر أن المجتمع ما هو إلا جزء من النظام الطبيعي لهذا الكون الكبير ونحن فيه مظاهر تخلقها العوامل الطبيعية والنفسية كما أن نظام التربوي التي استند عليه المجتمع ما هو إلا محاولات معرفة تراكيب وعناصر لهذا المجتمع وأدراك مراحل النمو والتطور^{٥٢}، ولما كانت الأخلاق عاملا أساسيا في المجتمع وتطوره على وفق عمليات تطويرية اسماها (التطور فوق العضوي)، فالتربية هي أبدى لرفع ذلك التطور في الأخلاق الاجتماعية، وهذا يوضح لنا أن كل تقدم أخلاقي وسموه وارتقاء إنما هو تطور ايجابي لعمليات التربية عن طريق صيرورة التقدم في النظام التربوي للمجتمع على هيئة الكائنات العضوية أي (الإنسان) أو المجتمع^{٥٣}، وهذا يؤدي إلى حقيقة أن الارتقاء ما هو إلا ارتقاء الأجزاء أو الوظائف المتشابهة في النظام التربوي، يولد لدينا تقدم في الأجزاء والوظائف الأخلاقية من داخل المجتمع، مما يسهم في ارتقاء الأخلاق في المجتمع في ظل النظام التربوي^{٥٤}، ولهذا قسم سبنسر النظام التربوي على ثلاث أقسام وهي كالآتي :

١- التربية العقلية Mental education

٢- التربية الأخلاقية Moral education

٣- التربية البدنية Physical education:

وهي مرتبطة في عوامل ارتقائية اجتماعية أخلاقية، وعليه فقد سعى الباحث لربط كل قسم من أقسام التربية لدى سبنسر بمراحل التطور الاجتماعي والتربوي بالأخلاقي وهي كالآتي:

١- مرحلة الارتقاء الأخلاقي في التربية العقلية . ٢- مرحلة الارتقاء الأخلاقي في التربية الأخلاقية . وهذه المرحلتان دون الثالثة سعى إليها الباحث لربط ارتقاء الأخلاقي بالنظام التربوي .
١- مرحلة الارتقاء الأخلاقي في التربية العقلية:

ركز سبنسر في فلسفته التربوية على الجانب العقلي أكثر من أي جانب آخر في التربية معتقداً أن وجوب أتباع التربية العقلية كونها طبيعية وطريقتها وتنظيمها يملى من الفكر الدقة والوضوح^{٥٥}، وعلى ذلك أن بناء العلاقات الاجتماعية ونظمها التاريخي اسند لنا أن عيوب التربية دعت إلى الاهتمام بالعقل للوصول إلى جادة الصواب، وليس كما كان في السابق الاهتمام بخدمة الجسم لتكوين العقل السليم وعليه^{٥٦}، فقد شرع في هذا النطاق إلى أن يسلك التلميذ طرقاً هي أشبه بالسنة الطبيعية وذلك على هيئة قواعد إذ قال ((تعقل التلميذ عن النفاذ إلى أعماق العلم لاستبطان دخائله واستجلاء غوامضه فإما أن يعرض على التلميذ المعلومات الجزئية فيقارن بينها ويقابل ثم ينتزع منها قاعدة كلية تشملها فذلك هو تعليم الحق والخطة المثلى، فان الحقائق لا تكون جمة الفائدة باقية المنفعة حتى يمتاحها الذهن من ينابيعها ويستثيرها من كنوزها))^{٥٧}.

تداعت الابتكارات الحديثة في ضوء الخطط التربوية إلى تمسك بملكة المشاهدة (Queen of viewing) بما يمليه حب الاستطلاع باستعمال الحواس، في حين تناقلت هذه الخطط إلى سياقات أخرى تدعم فيها أدراكاتنا في غوامض الاستبصار الذهني^{٥٨}، فأن ما خفي عن الأنظار والأسماع، هو أن ندركه مع تلذذ بالدرس من حيث فهم واستيعاب هذه المعلومات بتضامن معها الفهم لكسب هذه المعلومة مع احتياج ذهن الطالب لكون أن هذه الأمور ترجع إلى أنماؤه وتثويره، وعلى عكس ذلك فإنه دليل على عدم استعداد ذهنه لتلقيه وعدم تثويره^{٥٩}، ولما كانت هذه الصفات المشتركة دليل على تقبله هذه المعلومات أمست صفة زيادة تطابق بين طرق التعليم والسنن الطبيعية تطابقاً يظهر أثره فيما تقتضيه طرق التعليم .

إن انعكاسات هذا الواقع في التربية وطرائق التعليم مهدت لنا واقع أخلاقي تجلّى في دفع القضايا التي تخدم وتمس المجتمع إلى صياغة مبادئ أخلاقية بدت فيها مسألة الارتقاء الأخلاقي واضحة^{٦٠}، وهذا ما أكده في كتابه مبادئ الأخلاق، وكذلك في بعض مؤلفاته، أن الإطار العام التي تشكلت عليها فلسفته صنع لها سبنسر إطاراً أخلاقياً^{٦١}. جاعلاً إمكانية النظر فيها إلى فن

التربية وعلم الاجتماع والأخلاق ككل مترابط، وقد بدت هذه القضايا تشغل باله حرصاً كل الحرص على أن يضع تصوراً تطويرياً ممنطقاً^{٦٢}، على وفق الارتقاء الأخلاقي غير متشكك في العقل البشري الذي يسعى إلى ربط الواقع التربوي الذي ينجي الناس عن طريق التربية العقلية، والتي ربطت بين واقع الأخلاق التي نحن نزرعها في داخل نظامنا التربوي في كونها جميعاً مبادئ اشتغل عليها بعمق، عندما اطلع على فلسفة داروين في الارتقاء والتطور البشري حول أصل الجنس البشري وأنواعه، مما جعله يشتغل على هذه النظام في ارتقاء الأخلاقي للبشر^{٦٣}، كما سعى أن يعطي حلولاً أكثر فائدة للبشر والمجتمع ورسمه لنا في واقع التربية، ورأى أن التربية العقلية هي أول الأسس التي استندت عليها التربية لتشكيل النظام الأخلاقي لدى البشر وليس هذا فقط، بل أعده النظام الرابط لتربيات أخرى من حيث الارتقاء في الأخلاق، وفي ذلك سعى دائماً إلى مجموعه كبيرة من مؤلفات الاجتماعية والتي تسمى بالعارف الاجتماعي (Social knower) إلى مرحلة التكوين والارتقاء المجتمع^{٦٤}، فلهذا فقد ربط بين المعارف والعلوم التي تشكلت في ثنايا المجتمع أمثال السياسة والدين والفلسفة وعلم الإحياء والتحليل النفسي، ووصل إلى قضية استند فيها إلى نهاية الأمر، أن تكون الأساس العلمي لتثبيت الأخلاق الاجتماعية عن طريق فلسفته التربوية التي سعى إلى تعزيز الواقع الأخلاقي والارتقاء على خطوات عقلية فيها^{٦٥}، وهي أن التربية العقلية يجب أن ترفع فينا الأخلاق من الأسهل عملاً إلى الأصعب مراداً، بمعنى من البسيط المعمول به إلى المركب الذي نسعى لتحقيقه^{٦٦}، وهذا يجب ان يراعي عند تعليم الطفل علماً وأخلاقاً في أسلوب مجانساً لحالة العقل، كما أن العقل ينمو كسائر الأعضاء الجسم وأي نمو هو تحول من حال لأخرى، فهي محاولة تطور من انتشار والتبدد إلى حالة الانتظام وتناسق الفكري والخلقي عند بلوغه ودرجة الإصابة والسداد وهذه تكون حسب ما بلغه من التربية ونظامها من دقة تسترعي فيه السداد بالإصابة في الأخلاق^{٦٧}، مؤكداً أن تربية الطفل لا بد ان تخلق نظاماً تربوياً مطابقاً بالأسلوب لتربية الأمم من حيث الأخلاق، فقد أكد سبنسر في ذلك على الرغم من وجود عوامل أهمها الوراثة التي تؤثر فيه، وكذلك ما يرث من سلفه الجنسية^{٦٨}، وهذه عوامل جوهرية ولكننا نستطيع أن نتجاوز ذلك من خلال تربيتنا في سلوكها في التعليم فالسبيل الذي يبرز فينا النوع الإنساني من خلال النهج المقصود الذي اسماه بالعقل العام (General Mind)^{٦٩} الذي ينمي فينا الصورة الدقيقة للمدنية بحذافيرها وهذه من ضروريات الارتقاء الأخلاقي داخل المجتمعات^{٧٠}، وجب ثباتها داخل الطفل في التعليم وهذا التعليم لا يكون في محتوى الأسرة بل في محتوى المدرسة وعلى وفق أساليب وطرائق وجدت داخل التعليم النظامي أهمها المقارنة والبحث والتجربة والفرضية إذ أشار ((لا طريق إلى اكتساب العقل الإنساني العلوم إلا بطريقة المقارنة والبحث والتجربة والفرض التي ذكرناها، ولما كانت علاقة عقل الطفل بمسائل الكون ومشاكله هي نفس علاقة العقل العام بتلك المسائل، نتج

إذن إن عقل الطفل لن يدرك كنه المسائل المذكورة بالطريقة التي يسلكها العقل العام في الصدد المذكور ((^{٧١} .

إن جملة القواعد المرشدة الستة التي طرحها سبنسر والتي ذكرنا منها البعض لما يقتضيه بحثنا هذا من تداخل جعلها في إطار ملكة التطبيق الحرفي للتربية، لذلك سعى إلى إمداد الذهن بالمواد اللازمة على هيئة حركات بمعنى انه لم يكتفي بالسلوك التعليمي فقط بل إن انبعاث الملكات التعليمية في التربية التي هي مصدرها العقل راعت النشاط الذي صاحب زمن نشأتها وارتقاؤها كانت أكثر شدة وتأثيرا على ما يطلبه ذهنه من الصور فائدة لصحته ومزاجه^{٧٢}، وهذا يكفي بان يدفع به لمراعاة قانون النشوء والارتقاء القاضي بالتدرج على إنماء ملكات يميز بين الأضداد فيما بينها فيبدأ عنده الارتقاء الأخلاقي في تربيته العقلية شيئا فشيئا^{٧٣}، وهذا ما عملت عليه قواعد المجتمع عندما رأت أن أس الحركات الجسمية والعقلية هي قوانين الحياة العامة وهي ضرورية لتنظيم السلوك الشخصي والاجتماعي وهذا يعطينا تدرج أخلاقي هو جوهر التربية العقلية^{٧٤} .

٢- مرحله الارتقاء الأخلاقي في التربية الأخلاقية:

أكد سبنسر أن تربية الطفل لا بُدَّ أن تجد فيه نظاما تربويا مطابقا بالأسلوب لتربية الأمم من حيث الأخلاق فقد قال ((إذ صح أن الناس يشبهون إسلافهم خلقا وخلقاً))^{٧٥} ولما أكدت الحياة هذه الحقائق فقد أدرك أن العقل البشري هو ساعي إلى الارتقاء في الأخلاق عن طريق التعليم، ولهذا فقد ربط في ذلك الشأن إذ قال ((وإذ كان ما ذكرناه في هذه الحقائق يشمل الطبع البشري قاطبة وضمنه العقل، نتج من الك أن الإنسان سيسلك في التعليم السبيل الذي سلكه النوع الإنساني))^{٧٦} . يرى سبنسر أن العقل هو ليس مثل السماع والنظر فهاتان الحاستان هي تدرج لاستعمال شيء يستفاد منه لتشكيل رؤية عقلية عن طريق الاستدلال، فأن الرقي الإنساني يربنا أن القواعد والقوانين لعلم ما هو حالة لأدراك وإدراج المقول المتصور، وهذا هو المبدأ لتعليم الطالب وتشجيعه على إجراءات عملية في البحث والفحص العقلي لبلوغ الإنسانية من الرقي في الأخلاق بفضل تعليم النفس وترويضها على وفق التربية العقلية، وان يقرأوا على قدر الإمكان باستنتاج النتائج لأنفسهم^{٧٧} . فقد سعى سبنسر إلى إيجاد علاقة قوية ما بين اللذان العقلية للدرس وما بين النتائج الأخلاقية، لان طباع اللذة تعطي إصلاح وفلاح في مزاج المتعلم وتعطيه أفكار صحيحة ومتسلسلة أيضا، فيكون خاضع للقانون صالح ومؤهل أخلاقيا، ولان هذا التسلسل في الخواطر يبعد عنه البغض فتحقق فيه أبعاد أخلاقية^{٧٨} . ومن هذا فقد ربط في مجمل كلامه وخصوصا في القسم الثاني من كتابه (التربية) والذي خص فيه التربية الأخلاقية على أن القانون الأخلاقي يقضي أن نوحده النظم الأخلاقية داخل المجتمع من حيث التربية على وفق النظام الحكومي أو النظام المنزلي وذلك

لكي يلائم رغبة المجتمع والإفراد وان هذا التوحيد في النظام الأخلاقي داخل المجتمع ما بين النظامي الذي يعني به الحكومي والأسري، جاء بناء على قاعدة أخلاقية مفادها هو عندما طابت الأخلاق حسن النظام الاجتماعي^{٧٩}، حتى لو تم تحسين النظام الاجتماعي من خلال القانون التشريعي إذا كان الهي أو وضعي ولم يتم تحسين البناء الأخلاقي وتوحيده مع النظام البنوي للمجتمع من ذلك يعد فسادا ، وكل تحسين فيه ضارا للمجتمع ، إذ أكد سبنسر على ذلك ((قضت طبائع الأمور أن يكون نظام الحكومة المنزلية والحكومة العامة ملائمة لأخلاق الجمهور إن طابت الأخلاق حسن النظام، وإن خبثت ساء، فإذا أحتيل في تحسين النظام والأخلاق باقية على حالها من اللوم والفساد أو شك أن يكون التحسين ضارا))^{٨٠}، وعلى ذلك ترجى سبنسر أن يكون النظام الأخلاقي مبني على دوافع داخلية تحسن الظن في أن البناء الأخلاقي هو ثمرة جيدة تحيط في المجتمع، لأننا إذا وضعنا نظاما صالحا في تربيتنا الأخلاقية لكان جيدا^{٨١}، ولكن إذا لم تكن هذه الدوافع سليمة لهذا البناء فلا جدوى في هذا النظام الأخلاقي حتى يؤمن به القوم ويجعلوه غاية في سد ضلالهم^{٨٢}.

وعلى ذلك فقد سلم سبنسر على أن النظام الأخلاقي لا بد له من أغراض وغاية وقواعد نصل إليها من خلال وسائل وهذه الوسائل لا بد لها من إفصاح لإيضاحها بدقة، لان هذه الوسائل هي في حد ذاتها ارتقاء أخلاقي كيف ذلك ، يصور لنا سبنسر على أن المسلمات التي نؤمن بها نحن ما هي إلا سلوكيات في واقعنا التربوي، فتم العمل بها على وفق تربيتنا فحكست ذلك في سلوكنا الاجتماعي^{٨٣} ، والتي هي رحابها الأخلاق ومن هذا المنطلق تنمو وترتقي أخلاقنا وما علينا إلا أن نعزز ذلك بالسلوك التربوي للأسرة ثم المجتمع، وعليه سوف ندرج هذا النمو وهذا الارتقاء على هيئة وسائل تربوية، نبدأ بها بالأسرة وتحديدًا مع الطفل في السن المبكر من عمره وإلى أن يكتمل سلوكه الأخلاقي، وهذا في حد ذاته نموا وارتقاء الأخلاقي، وان يتماشى معه على هيئة مسلمات نؤمن بها قطعاً وعليه، فنرى أن هذا الارتقاء لا بد أن يحمل معه صيغة العمل التربوي بمعنى الواقع العملي وليس النظري في^{٨٤} ، وأول هذه الوسائل لـ(النمو والنشوء والارتقاء الأخلاقي) هي:-

الوسيلة الأولى/ جنس العقاب الطبيعي (Sex natural punishment):

هذه الوسيلة الأخلاقية التي أوصى بها سبنسر والتي قسمها إلى قسمين أطلق على الأولى اسم العقوبات الطبيعية (Natural sanctions) والأخرى العقوبات الأجنبية (Foreign sanctions) ، كانت في مجملها مشابه لما أقرته المدرسة الطبيعية في العقاب التربوي الطبيعي^{٨٥}، وهي بمعنى أن الطفل أو الناشئ عندما يسئ فليس من الصواب أو الحكمة من الأب أو الأم أو المربي توبيخه وشتمه على ذلك^{٨٦}، فهذا في رأيه اكبر الأخطاء أو عين الخطأ والبديل

على ذلك هو استبدال سلوك العقوبة من قبل المربي بمنحى آخر يقتضي العدل في العقوبة بان يترك للطبيعة وهي التي تجازيه على ذلك^{٨٧}، لان فقده لشيء أحبه نتيجة هذه الإساءة وحرمانه منه هو الألم التي تقدمه الطبيعة لمستقبل أيامه بان يمعن النظر في التصرف السيئ والحرص والمحافظة على أشياء التي يملكها أو التي أساء فيها، فهذا الدرس من فقده لا يكرره بعد ذلك^{٨٨}، وهذا ما سماه بالعقوبة الطبيعية، أما العقوبة الأجنبية فهي عقوبة الإباء أو الأمهات بالشتيم أو الضرب والغضب على طفلهم وهذا يجعل من الطفل أو الناشئ حسب ما سماه سبنسر الفظاظ الأخلاق^{٨٩}، إي (أبناء الإباء الفظاظ المعاملة) أي لا ينفادون إلا بالوسائل الفظة وخضوعهم في مثل تلك الأحكام الفظة أعظم مرشح لجعله أن يكون مكافحا في حياة معتزكها فظ في سبيل مكافحة أهوال هذه الحياة^{٩٠}، ومن ذلك سعى سبنسر إن تكون عقوبات الإباء طبيعية وليست غير الطبيعية إي (العقوبات الأجنبية)^{٩١}، لان العقوبات الطبيعية هي بحكم الأفضل أخلاقيا، أن الغاية في ذلك المراد هو أن يدرك الطفل أو الناشئ الأسباب والنتائج الأخلاقية التي تفسر لنا أهمية فهم العواقب من خلال خبرة اكتسبها من حياته العملية، وعلى وفق هذه التجارب تنمو لديه قواعد أخلاقية سوف يزاولها على نفسه وعلى أولاده في المستقبل^{٩٢}، وعلى ذلك ينمي في داخله عقد النية والتفكير في التوبة على الإنابة، لان هذا الأمر التربوي البسيط يجعلنا أن نحقق قانون وضعي نجعله من ضمن القوانين التي جاءت من الطبيعة وهو بان نأمر المجرم إن يصلح ما افسد بقدر إمكانه^{٩٣}، فيتولد لديه شعور بعدل الجزاء وذلك الجزاء يرتبط ارتباطا قويا بالنتيجة، وعليه يصبح المذنب أشدا نقاء للذنوب وأكثر تبصرا في العواقب واخلق أن لا يحسب نفسه مظلوما^{٩٤}.

إن تنمية الأخلاق تتحقق في الكشف عن نظام بنيوي مصدره الشعور المتولد داخل الطفل من حيث أن هذا العقاب ليس مصدره والديه في حالة أساءته بل من الطبيعة ووالديه ما زاد على ان كانا منفذا لعقاب مصدره الطبيعة^{٩٥}، كذلك هو نفس الشعور عندما يتم الكشف عليه للمذنب في المجتمع بان لا بد للطبيعة ان تحقق العدالة وهذا هو أدراج التطور السيكولوجي في صيغة لا تتبدى فيها سوى أفعال آلية^{٩٦}، وهذا ثمرة الجزاء الطبيعي، فقد فصل سبنسر في ذلك إذ قال ((أولها: ما يستفيد الطفل بها من الحنكة؛ لفرضاها عليه التبصر في العواقب، فيميز بذلك بين النافع والضار. ثانيها: أن الغلام إذا رأى أنه لم يئل من العقاب إلا كسب يده، كان جديراً أن يبصر عدل الجزاء. ثالثها: أنه إذا أقر بعدل العقوبة، وأنها من فعل الطبيعة، لا من عمل إنسان، هانت عليه، فلم يغضب لها غضبه لو كانت من صنع بشر. وكذلك الوالد إذا ترك الطبيعة تجري في عقاب الغلام مجراها، كان ذلك أحرى أن لا يوغر صدره ويهيج غيظه. رابعها: أنه إذا سكنت عواصف الغضب بين الطرفين، خمدت في الجوانح نيران البغضاء، واطمأنت القلوب وائتلفت))^{٩٧}، من هذه المبادرة

سوف نجزم أمر الطفل في مسائل تكاد تكون كبيرة بالنسبة له من حيث أن هذا كان من جانب التحصين التربوي في مسائل صغيرة مثل السرقة والكذب وهذا مقصد النمو والنشوء والارتقاء الأخلاقي، لان قوانين التداعي التي تربط بين هذه التركيبات هي المظهر الذي يتلبسه في وقائع الوعي هو قانون التطور الكلي^{٩٨}.

الوسيلة الثانية: علاقة الوالد بالولد (They are related to a parent with a child):

إنّ مثل هذه المسائل عندما تتعزز داخل الناشئ عن طريق المكاشفة من حيث المودة والإحسان يقود ذلك إلى أن يتطبع الناشئ سلوك والده في التربية والأخلاق فيحثه عن طريق الكلام اللين والبسيط بان يكبح فيهم الخشونة في السلوك، وكذلك مراعاة البيئة التي يعيش فيها واختياره للإعمال اليومية التي تفرض عليه^{٩٩}، تدفع به نحو الارتقاء في الحكمة أكثر من أي تأثير آخر سيئة وهذه السياسة تجعل من الناشئ حريصا على واقع الطاعة عند غياب الوالد^{١٠٠}، ولذلك نرى أن سبنسر يوحى لنا لتوليد الصحبة والصدقة بين الابن وأبيه إذ قال ((ينبغي أن تكون العلاقة بين الوالد والولد؛ لما لها من عظم الشأن في علاج ما عساه يبدو في الوليد من منكر الخبائث، على أنه يجدر بنا قبل تناول هذا المبحث أن نظهر للقارئ كيف أن مسالمة الصبي ومياسرته قد يفضيان إلى توليد الصحبة والصدقة بينه وبين أبيه))^{١٠١}، أن الاستمرار في واقع الصداقة ما بين الإباء والأولاد هو بالابتعاد من قبل الوالدين من كونهم آلة للضرر إلى صيغة تكون ملمة بالصداقة بان يكون الوالدين إخلاء بمعنى أصدقاء حميمين، وان يجعلوا من أنفسهم مع كل ناشئ خليلا حميما له ، ولذلك يترتب على الوالدين أن يتمتعوا برجاحة العقل والتبصر^{١٠٢}، لان المنحى الأخلاقي الذي يعبران فيه ما هو إلا دليل لنمو الأخلاق داخل الناشئ، وهذا يعطي انعكاس في ارتقاء الأخلاقي من قبلهم فعلى الوالدين الدفع نحو التكامل في الأخلاق وعلى أتم وجه في تربية أولادهم وذلك من خلال التطبيق العملي^{١٠٣}، وقد أعطى سبنسر مثالا في ذلك تجربة حرق قطعة الورق^{١٠٤}، أن التمثل في الواقع التربوي في روح التأمل والاستطلاع من حيث التعامل مع هذه الواقعة هي حكمة وتبصر من حيث تدع الخوف من الحرق ومن ثم نعطي فرصة للناشئ أن يجربها ونحن على علم أفضل من أن ندعه يعملها من دون علمنا، ومن ذلك نخرج بتجربة داخلية استنتجها مفيد وربط ما بين العلاقة ما بين الأولاد والإباء، وهذا النماء الداخلي يرسمه لنا التطور وليس ثمة من دليل على أن التقدم في التغيرات هو التبدل الذي يكفل أحسن موازنة للموجود مع هذه العلاقة^{١٠٥}، إذ أشار سبنسر ((فأول فوائدها؛ أنها تقيد الطفل تجربة تكون اكفل الأشياء بسلامته، وثانيها ابنها تفهم الطفل أن تحذير أمه أياه لم يكن إلا لفرط انشاقها عليه وحرصها على مصلحته، فتزيد ثقته بها وحبها إياها))^{١٠٦}، ولما كان علينا إلزاما في دفع الطفل والناشئ إلى التعلم والارتقاء

في سلوكه الأخلاقي وجبت علينا إدخاله في تجربة وهي أيضا تحمل مساعي تربية إذ تنمي داخله منعطف تربوي مغزاه أخلاقي تسمو فيه الأخلاق من خلال عطاء الواجبات التربوية، مفاده أن نبتعد عن النصيح والتحذير قليلا ونرفع من الصدق والصدقاة كثيرا في هذا المنعطف الأخلاقي^{١٠٧}، لان أوضح القوانين الإنسانية حسب ما ذكرها سبنسر في ذلك هو أن الشخص لابد من أن يستعين بالملاذ الطيب عن الملاذ الخبيث لأنه يولد في ذواتنا ملاذ اسماه ملاذ الودادية^{١٠٨}، والذي بدوره يبعدنا عن طلب ملاذ الذات وهذا هو المبتغى الأخلاقي والسمو فيه يكون مسعى لرفع هذا الارتقاء في واقع أخلاقنا من الجانب التربوي، إذ أشار سبنسر في هيئة أوامر وهي ((اقنع في تربية أخلاق الطفل بالسياسة الرفيقة والخطة الوسطى، ولا تولع بالجهد العنيف والمذهب الأسمى، واعلم أن المرتبة العالية في معارج الأخلاق لا تبلغ إلا بالأناة والرفق، فإنك إذا علمت ذلك كنت ملياً أن لا يجرج صدرك ما لا يزال يبدو لك من عيوب الوليد، وكنت قميئاً أن تقل من وعيدك، وتلين من قسوتك عليه، مما يوغر صدره عليك، ويغذو ضغينته لك، فأحفظ ذلك واجتنبه ما استطعت، واعلم أن من أنجع الوسائل في تهذيب الطفل أن تعدل به عن طرق الاستبداد الذي يحدث في النفوس الطبيعة خشوع الذلة))^{١٠٩}.

الوسيلة الثالثة؛ البراءة الصحيحة (The right of innocence):

يقصد بها براءة الأطفال من العلم بفنون الشر، إذ ترجى سبنسر من المؤدب أو الوالدين بان يبرز في داخل الطفل صفة جميلة وهي بأنه صاحب حظا وافرا من البر وكرم الطباع، لأن سبنسر يعتقد مهما بلغ التمدن في الناس فأنهم نسل أمم متوحشة، مؤكدا على أن للأطفال براءة هو أمر صحيح ولكن لغرائز السوء مكان واثر في ذواتنا وذواته^{١١٠}، فيجب علينا أن نزرع الأخلاق داخل الناشئ بعملية بطيئة وتدرجيا وان لا نتسرع وذلك لضمان الدقة العالية ولأن هذه الأمور لا يستوجب بها العجلة لان الحرص على الدقة واجبة ومطلوبة وأي تهور بالسرعة في مثل هذه الأشياء يستدعي بعض التعويق لإنمائها^{١١١}، فقد أشار سبنسر ((وليس من الصواب أن يطمح بالطفل إلى أرقى درجات الأخلاق، كلا، بل ليس من الصواب أن يغالي المؤدّبون كل المغالاة في حث الوليد على الفضائل، فإنه ليس من أحد إلا ويعلم ما يعقب النبوغ العقلي في الأطفال من النقص، فليعلم الناس أيضا أن نبوغ الوليد في الفضيلة معقب أيضا بنقص وضعف، فإن القوى الأخلاقية العالية في الإنسان دقيقة التركيب؛ ولذلك كانت بطيئة التكون، لهذا السبب أصبح إسراع المؤدبين في إكمال هذه القوى يستدعي بعض التعويق لنمائها، فلا تبلغ حقها في القدر؛ ولذلك ترى الفتيان الذين كانوا في طفولتهم أمثلة البر والكرم قد عرض لأخلاقهم على تقدم السن شيء من السوء والشر، حتى أنزلهم من الأخلاق منزلة لا ترضي، كما أن الرجال الذين تراهم أمثلة الفضل لم

يكونوا في طفولتهم بمكان من المكارم))^{١١٢}، ومن هذا فان الحذر كل الحذر من الارتقاء بالأخلاق على وجه السرعة بل يتطلب لذلك الدقة قبل السرعة لان لا يمكن أن نحمل هذه العملية عواقب وخيمة لا يحمد عقباها.

الوسيلة الرابعة: المؤدب الصالح أشبه بالقاضي المصلح منه بالملك المفسد. (Polite good)
: (judge like him reformer King spoiler)

سعى سبنسر في ذلك الأمر على عدم الأقدام إلى أي أمر تربيوي إلا إذا كنت متيقن كل اليقين بأنه أمر صالح، فهو يشبه ذلك بالقاضي الذي الم في جميع قوانين البلاد وعند إصدار الحكم يكون واعى وغير متردد لأنه عرف أن يحزم ويجزم أمره القضائي، وهذا الشيء نفسه يشبه سبنسر في الأمور التربوية التي ساعدت في نشوء وارتقاء الأخلاق الجيدة داخل الناشئ أذا أحسن عمل ذلك القاضي الجيد، وخلاف ذلك فقد أعطيت مبررات كثيرة لعدم الارتقاء بالأخلاق^{١١٣}، فلهذا سعى سبنسر على التركيز في ثبات الأمر بان لا وجود للتردد لأنه يفسد الأخلاق ولا يرفع من شأنها، وهذا الواجب التربوي مهما يرمي ثقله على التربية^{١١٤}، إذ أشار سبنسر لذلك ((واعلم أن من أخطر سقطات التربية عدم الثبات على رأي؛ لما يسبب ذلك من زيادة الجرائم، وهي حال لا تزال تشاهد في البلاد التي لا يُنهج فيها قانون محدد مضروب؛ ولذلك كان أفسد المؤدبين وأضرهم من لا يكاد يرى الرأي حتى ينبذه، أو يعزم العزم حتى يتركه، فتراه أبداً يتهدد ولا يفعل، ويعاقب على الذنب بعينه؛ طورا بالعنف وتارة باللين، كما توجي إليه الأهواء الفلقة الخفاقة، فما أخلق ذلك الاضطراب والتقلب أن يُسقطا المؤدب في عين وليده، ويغريا الغلام بالإقدام على الإثم؛ لما يطمع فيه عند ذلك من خفة العقوبة أو عدمها، كل ذلك محدث فسادا في الخلق، هيهات أن ينجع في اصلاحه طول المعالجة بالتجارب، وإن خطة استبداد في التربية يلزمها المؤدب فلا يحيد عنها شعرة؛ لخير من خطة رفق لا تلزم. وقصارى القول: إنه يجب على المؤدب أن يجتنب العنف جهده، فإذا وجد أن لا بد من العنف والاستبداد فليستبد))^{١١٥}، أن معطيات التربية أن تجعل من ولدك فتى يحكم نفسه على وفق الالتزام الأخلاقي الذي ثبته أنت أو المؤدب فيه وليس من يتحكم فيه وبأخلاقه الغير، ومن هذا وجب عليك أبرام السلطة المطلقة مع الناشئ لضرورة التمسك والانصياع إلى المعنى الأخلاقي وكذلك لتقوية شخصيته الاجتماعية^{١١٦}، وعلى هذا النمط وكما وجب عليك ان تبذل جهدك في تدعيم هذا السلوك الأخلاقي من خلال واجبك التربوي له تدريجيا وان تجعله صارما في عدم التخلي عن الأدوار الأخلاقية التي ترفع من شأن أعماله الصالحة^{١١٧}.

لهذا فان التربية الصحيحة حسب ظن سبنسر وجب فيها بعض الاستبداد بالرأي وليس ذلك تبريرا أو منعطا لتمسك بالرأي بل ينفع من حيث البعد الأخلاقي وعن طريق حرية الرأي أو بالأصح الحرية بمعناها القويم لان أوفر الأمور مسلكا في التربية إخضاع الالتزام الأخلاقي للناشئ من خلال إعطاء حريته والتعبير عنها، وكذلك أن يعمل الفكر في تمييز دون ممارسة سلطتك عليه في التربية^{١٨}، فلهذا لا بد من الجزم والحرية والاستبداد لخلق ناشئ ينمو في داخله بواعث الأخلاق وليس الأخلاق وعاء نسكبه في داخل الناشئ^{١٩}، بل هو زاد يحقق لنا الارتقاء الاجتماعي من خلال السلوك القويم وان لا ننسى الطباع البشر فهي مختلفة وهذا الاختلاف كي لا يسبب لنا تدني بل رفعه وارتقاء في الأخلاق وجب أن نلتفت إلى أنفسنا^{٢٠}، فنرفع عنها حب الأنا والسلطة والاستبداد والعناد من مسائل غير قابلة للحوار وتعطل فينا الارتقاء الأخلاقي ونحولها من خلال الحوار والتبصر والتبصير في الأفكار الايجابية هو مجمل ما يرفع ويرقي أخلاقنا^{٢١}، ومن خلال رسم سبنسر لهذه الوسائل والتي أراد أن يجعلها قواعد وشروط في واقع تربيتنا أن ترفع من شأن الأخلاق وتسمو في واقع التربية الاجتماعية للمجتمع ، فلهذا كان نظامه التربوي خير دليل على أن يثبت في داخل الناشئ الأخلاق الحميدة ، فالنظام التربوي الذي استند عليه من خلال الالتزام الأخلاقي هو المسألة التي تعطي ثمار العلاقات الاجتماعية من حيث العطاء المثمر داخل المجتمع وفي نفوسنا وذواتنا ، فلا جدوى من الأخلاق إذا لم تستثمر واقعنا التربوي منذ الصغر والى الكبر وهذا هو النشوء والارتقاء بالمعنى الأخلاقي والاجتماعي عند سبنسر^{٢٢}.

الخاتمة:

إن التحدي الكبير في واقعنا الأخلاقي يكمن في مسألة تعليمنا وواقع تربيتنا، فإذا وجدنا في نظامنا التربوي والتعليمي بعض الثغرات، يتوجب على الجميع ممن هم في هذه المسؤولية القيام بإصلاح رغبة منهم برفع شأن الواقع الأخلاقي فهذا جل السلوك التربوي، ولا بأس أن نستمد المعرفة والإصلاح التربوي من باقي الثقافات، ولا ننسى في ذلك أن المعرفة والتربية وباقي العلوم ما هو إلا تبادل انجازات الحضارات المختلفة فيما بينها، أن المبادئ الأخلاقية تتدرج في النظام التربوي ويعلوها جميعاً مبدأ المحافظة على حياة الفرد والمجتمع وريقيهما فهو المبدأ الأخلاقي الأساسي، يلي ذلك مبدأ الارتقاء، فالقوانين الاجتماعية هي التي تحدد تفوق مبدأ على غيره من المبادئ الأخلاقية، إذن فطبيعة الموقف الاجتماعي هي التي تحدد المبدأ الأسمى في الأخلاق، فالمسلمات الأخلاقية التي تحققت وخرجت على هيئة نتائج فمن الممكن توظيفها في واقعنا التربوي في ظل الارتقاء الأخلاقي لدى سبنسر وهي كالأتي :

- القيم النسبية: إن الأخلاق الطبيعية الاجتماعية هي الأخلاق التي تحمل القيم الصادقة المطلقة التي تتبع دائماً معايير المعقولة، وتعمل على إيجاد انسجام وتقاوم ما بين الفرد والمجتمع أيضاً. وعلى العكس من ذلك فإن القيم النسبية التي استبعدتها سبنسر في التعليم ما هي إلا فريسة للناشئ أو الاستغراق في الذات دون المجتمع لأنها تحمل في طياتها الزيف، وهذا ما حدث في فلسفة سبنسر الارتقائية للأخلاق من تحقيق الذات في الأخلاق الطبيعية باستبعاد القيم النسبية بالنظام التربوي، لأنها أخفقت من تحقيق ذاتها، فالحكمة تصاحب النزعة الطبيعية وقيمها المطلقة في التوفيق والتأليف بين الحق والعدل والخير، فهضمت القيم المطلقة في الأخلاق التطورية بهذه العلاقة.

- العلم الطبيعي هو الأفضل من باقي العلوم في الأخلاق وتطورها لأن الطالب عندما يعرفه إنما يعرف الأخلاق الطبيعية، والعلم الذي يؤمن به بعد كثرة التجارب بالعلاقات الكونية الثابتة، هو تابع من حيث العلاقة ما بين السبب والمسبب، ولهذا فهو يؤمن بالنتائج الحسنة التي تشكل محور أخلاقنا لمراعاتها معايير المعقولة في إيجاد علاقة صحيحة بين ما هو حق وباطل، فالأخلاق الطبيعية لها وجود بين مفهوم الحياة الخيرة وتصور السلوك الأخلاقي الذي يعد حقاً اجتماعياً، وذلك عن طريق أن العلم الطبيعي لا يعوزه التوافق مع نفسه وأنه قد حقق ذلك بمكسب شديد حين اشتقت القيم منه فأثرت في الوقائع.

- القيم الثابتة لا تتعارض مع أخلاقيات الواجب الدينية، لا بل تؤكد على فعل ما هو حق بصورة قاطعة على أنه حق، بل أن القواعد والأفعال تكون حقة طبقاً لما تنطوي عليه من خصائص الأخلاق الطبيعية لهذه القيم، ولهذا السبب وجب أن نقبلها بوصفها التزامات والالتزام بها هو أسمى رقي .

- تسعى التربية العقلية لتطبيق الواجب الأخلاقي، وتسعى إلى إصلاح الذات أيضاً، وهذا جل واجبنا من إتباع أنماط معينة من السلوك الفعلي والعقلي لأننا ندرك أنها توصف باتباعها للحق والموضوعية فيه غير قابلة للشك، وفي التربية العقلية إننا مطالبون بأداء الأفعال التي تتخذ طابع الإرادة السليمة .

- إن أثبات الأممية في التربية وجعلها نسق ثابت في المجتمعات ما هي إلا سمة مشتركة في أخلاق السعادة وأخلاقيات التربية، فبدلاً من البحث عن المبدأ الأخلاقي الصحيح اشتقت هذه الأخلاقيات القيم من وقائع المجتمعات المختلفة ايدولوجياً، فمن ناحية حركة وموافقة الطبيعة صورت أن كل ما تجود به الطبيعة خير وأن الطبيعة الإنسانية خيرة وغير محدودة ومن ناحية أخرى : إن كل النظريات الطبيعية الاجتماعية تتحدث عن الأخلاق السليمة الموحدة داخل المجتمعات، إذ أنها أكدت على أن السلوك الذي يطابق واقعة طبيعية معينة يكون حقاً سواء أعلن

أن هذه الحقيقة ذات طابع حتمي مسبق للأحداث داخل مجتمع يختلف عن الآخر أو اختلاف العمليات التطورية للمجتمعات وغير ذلك .

- إن تقسيم العقوبات منها الطبيعية والأجنبية ورفع شان الأولى دون الثانية، ما هي ألا لتطبيق العدالة داخل المجتمع وداخل الفرد، إذ أن أحساس المذنب يوحى له أن هذا تطبيق ليس من صنع الإنسان لأخيه الإنسان من حيث ردع العقوبات في القوانين بل هو تحقيق للعدالة الطبيعية، وإنما هو تطبيق يصلح ما أفسده المذنب بقدر إمكانه ذاتيا، فيتولد لديه شعور بعدل الجزاء وذلك الجزاء يرتبط ارتباطا قويا بالنتيجة، وعليه يصبح المذنب أشدا نقاء للذنوب وأكثر تبصرا في العواقب واخلق أن لا يحسب نفسه مظلوم.

- إن جملة القواعد المرشدة الستة التي طرحها سبنسر والتي ذكرنا منها البعض جعلها في إطار ملكة التطبيق الحرفي للتربية ورفيها الاخلاقي .

- إن هيئة الوسائل التربوية والتي حددها بأربع وسائل، تبدأ بالأسرة وتحديدا مع الطفل في السن المبكر من عمره وإلى أن يكتمل سلوكه الأخلاقي، ما هو ألا دليل في حد ذاته لنمو والارتقاء الأخلاقي، وان يتمشى معه على هيئة مسلمات نؤمن بها قطعا فيدرك حجم الأخلاق ورفيها بها.

- ربط عن طريق الأخلاق تقدم المجتمعات وسعيا منه اوجد وسائل ربط للتواصل الأخلاقي ما بين الفئات العمرية من حيث علاقة الأب بالابن والناشئ بالحاكم .

الهوامش:

- * - علم الاجتماع التربوي ظهر في هذه التسمية مع عالم الاجتماع الأمريكي هنري سوزلو عام ١٩١٠ م في جامعة كولومبيا، وهو ليس بالغريب على ابن خلدون ودوركايم، فهما المؤسسان والرائدان له ، ولكن برز وتشكل هذا المفهوم والعلم مع سوزلو وعلى هذه الهيئة الموجودة الآن، واخذ بالانتشار السريع في العالم لأهميته في التربية والاجتماع على يده.
- ١- ينظر كرم ، يوسف ، تاريخ الفلسفة الحديثة ، دار المعارف، القاهرة ، ط ٥، سنة ١٩٨ ، ص ٣٥٦ من اهم الكتب التي ساهمت لابرار فلسفته الاخلاقية وهي المبادئ الاولى ١٨٦٢م مبادئ علم الاحياء ١٨٦٤م مبادئ علم النفس ١٨٧٠م المدخل الى الاخلاق ١٨٩٤م أخلاقيات الحياة الخاصة ١٨٩٢م وغيرها .
- ٢- ينظر امام ، عبد الفتاح امام ، الاخلاق والسياسة، نشر دار المجلس الاعلى للثقافة، القاهرة ، سنة ٢٠٠١ ، ص ١٠٢
- ٣- ينظر كرم ، يوسف ، تاريخ الفلسفة الحديثة ، ص ٣٦٠
- ٤- ينظر كرم ، يوسف ، المصدر نفسه ، ص ٣٦٥
- ٥- ينظر امام ، عبد الفتاح امام ، الاخلاق والسياسة، ص ١١
- ٦- ينظر فلوجل ، جون كارل، الانسان والاخلاق والمجتمع ، ترجمة الناشر دار الفكر العربي، القاهرة ، بلا ، ص ٢١
- ٧- ينظر امام ، عبد الفتاح امام ، الاخلاق والسياسة، ص ٧٣ وينظر ص ٩٩
- ٨- ينظر احمد ، محمود سيد ، الاخلاق عند هيوم ، الناشر دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، سنة ١٩٩٢ ، ص ١٥
- ٩- ينظر برهيه، اميل ، تاريخ الفلسفة ، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة للنشر ، بيروت، الجزء السابع، ط١، سنة ١٩٨٧، ص ٩
- ١٠- ينظر امام ، عبد الفتاح امام ، الاخلاق والسياسة، ص ١٠٣
- ١١- ينظر ضاهر، عادل، الاخلاق والعقل، دار الشروق للنشر ، الاردن، سنة ١٩٩٠، ص ٣٦٦
- ١٢- ينظر امين ، احمد ، الاخلاق ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، طبعة ٣ ، سنة ١٩٣١ ، ص ٣٠
- ١٣- ينظر امام ، عبد الفتاح امام ، الاخلاق والسياسة، ص ٧٧
- ١٤- ينظر سفارترمان، الاخلاق البورجوازية في العصر الحاضر، ترجمة محمود شعبان، دار دمشق، سوريا، سنة ١٩٨٦، ص ١١-١٢ وينظر ص ٩٩
- ١٥- ينظر سبنسر ، هيرت ، كتاب التربية، ترجمة محمد السباعي، مؤسسة هنداوي للنشر، القاهرة، سنة ٢٠١٤ ، ص ١٢
- ١٦- ينظر برهيه، اميل ، تاريخ الفلسفة ، ص ١٩
- ١٧- ينظر فلوجل ، جون كارل، الانسان والاخلاق والمجتمع ، ص ٢٢
- ١٨- سبنسر ، التربية ، ص ١٢
- ١٩- ينظر امام ، عبد الفتاح امام ، الاخلاق والسياسة، ص ٧٨

- ٢٠ - ينظر سبنسر ، التربية، ص ١٢
- ٢١ - المصدر نفسه ، ص ١٣
- ٢٢ - ينظر فلوجل ، جون كارل، الانسان والاخلاق والمجتمع ، ص ٢٤
- ٢٣ - ينظر الشبخلي، عبد القادر عبد الحافظ، اخلاقيات رجال العدالة ، طبع جامعة نايف ، المملكة العربية السعودية ، سنة ٢٠٠٥ ، ١٨
- ٢٤ - ينظر سبنسر ، التربية، ص ١٣
- ٢٥ - المصدر نفسه ، ص ١٤
- ٢٦ - ينظر الصباغ ، رمضان ، الاحكام التقويمية في الجمال والاخلاق ، دار الوفاء ، اسكندرية ،سنة ١٩٩٨، ص ١٩٣-١٩٥
- ٢٧ - سبنسر ، التربية، ص ١٤
- ٢٨ - ينظر امام ، عبد الفتاح امام ، الاخلاق والسياسة، ص ٨٨
- ٢٩ - ينظر التلوع ، ابو بكر ابراهيم ، الاسس النظرية للسلوك الاخلاقي ، منشورات جامعة قان يونس، بنغازي، سنة ١٩٩٥، ص ٢٩٦
- ٣٠ - ينظر سبنسر ، التربية، ص ١٥ ملخص المثال اذا تعرض طفل الى وجه غير مالوف فانه يخفي وجهه وهذه غريزة حفظ النفس بالفرار من المجهول وكما معروف عند البعض عندما تعرض حيوان النعام الى موقف صعب فانها تخفي وجهها في الأرض ظنا منها ان هذا الفعل يقبها الضرر .
- ٣١ - ينظر سبنسر ، التربية ، ص ٢٢
- ٣٢ - ينظر سبنسر ، التربية ، ص ٢٣
- ٣٣ - ينظر Porter B . F . The Good Life Alternatives in ethics [Collier Macmillan Publishers London 1980] . P :13
- ٣٤ - ينظر برهيه، اميل ، تاريخ الفلسفة ، ص ٢١
- ٣٥ - سبنسر ، التربية ، ص ٢٣
- ٣٦ - ينظر فلوجل ، جون كارل، الانسان والاخلاق والمجتمع ، ص ٢٧
- ٣٧ - ينظر سبنسر ، التربية ، ص ٢٥
- ٣٨ - سبنسر ، التربية ، ص ٢٦
- ٣٩ - ينظر امام ، عبد الفتاح امام ، الاخلاق والسياسة، ص ١٠٢
- ٤٠ - ينظر سبنسر ، التربية ، ص ٣٨
- ٤١ - ينظر البقصي ، ناهدة ، الهندسة الوراثية والاخلاق ، عالم المعرفة العدد ١٧٤، كويت ، سنة ١٩٩٣ ، ص ٦٢
- ٤٢ - ينظر برهيه، اميل ، تاريخ الفلسفة ، ص ٢٢
- ٤٣ - ينظر سبنسر ، التربية ، ص ٣٩
- ٤٤ - ينظر امام ، عبد الفتاح امام ، الاخلاق والسياسة، ص ١٠٣
- ٤٥ - ينظر سبنسر ، التربية ، ص ٤٠

- ٤٦ - ينظر امام ، عبد الفتاح امام ، الاخلاق والسياسة، ص ١٠٥
- ٤٧ - سبنسر ، التربية ، ص ٤٠
- ٤٨ - ينظر سبنسر ، التربية ، ص ٤٢
- ٤٩ - ينظر التلوع ، ابو بكر ابراهيم ، الاسس النظرية للسلوك الاخلاقي ، ص ٢٩٦
- ٥٠ - ينظر البقصي ، ناهد الوراثية والاخلاق ، ص ٦٣ ، الهندسة
- ٥١ - ينظر ينظر فلوجل ، جون كارل، الانسان والاخلاق والمجتمع ، ص ٣٤
- 52 - *Herbert Spencer, The Principles of Ethics*, introduction by Tibor R. Machan (Indianapolis: LibertyClassics, 1978). 2 vols..p35
- ٥٣ - ينظر التلوع ، ابو بكر ابراهيم ، الاسس النظرية للسلوك الاخلاقي ، ص ٣١٤
- ٥٤ - ينظر سبنسر ، التربية ، ص ٤٥
- ٥٥ - ينظر برهيه، اميل ، تاريخ الفلسفة ، ص ٢٤
- ٥٦ - ينظر امام ، عبد الفتاح امام ، الاخلاق والسياسة، ص ١١٠
- ٥٧ - سبنسر ، التربية ، ص ٤٥
- ٥٨ - ينظر ضاهر، عادل، الاخلاق والعقل ، ص ٣٦٦
- ٥٩ - ينظر سبنسر ، التربية ، ص ٤٧
- ٦٠ - ينظر احمد ، محمود سيد ، الاخلاق عند هيوم ، ص ١٢٢
- 61 - Ash william : morals and politics :the ethics of revolution,routledge,kegan paul,1997. p. 133
- ٦٢ - ينظر ضاهر، عادل، الاخلاق والعقل ، ص ٣٦٩ وينظر ص ٣٧٢
- ٦٣ - ينظر البقصي ، ناهدة ، الهندسة الوراثية والاخلاق ، ص ٦٤
- ٦٤ - ينظر امام ، عبد الفتاح امام ، الاخلاق والسياسة، ص ١١١
- 65- *Spencer, The Principles of Ethics*, p.42
- ٦٦ - ينظر امام ، عبد الفتاح امام ، الاخلاق والسياسة، ص ١١٢
- ٦٧ - ينظر سبنسر ، التربية ، ص ٤٨
- ٦٨ - المصدر نفسه ، ص ٤٩
- ٦٩ - يقصد بالعقل العام هو بمثابة العقل الجمعي في التفكير من قبل المجتمع أي بمعنى كيف نفكر بصورة الجماعة وهذا الامر يتواجد فقط في المنهاج المدرسي دون المنهاج الاسري ومن هذا ركز سبنسر على دور المدرسة اكثر من الاسرة لان كلمة النوع الانساني يقصد به الانسانية وهذا يتوفر في النهج المدرسي اذا راعت ذلك القواعد العامة للتربية لمنهاجها .
- ٧٠ - ينظر عبد الرحمن ، طه، سؤال الاخلاق، المركز الثقافي العربي للنشر، المغرب، سنة ٢٠٠٠، ص ٦٩
- ٧١ - سبنسر ، التربية ، ص ٥٠
- ٧٢ - ينظر برهيه، اميل ، تاريخ الفلسفة ، ص ٢٥
- ٧٣ - ينظر البقصي ، ناهدة ، الهندسة الوراثية والاخلاق ، ص ٦٦ - ٦٧

- ٧٤ - ينظر سبنسر ، التربية ، ص ٥٨
- ٧٥ - المصدر نفسه ، ص ٤٩
- ٧٦ - المصدر نفسه ، ص ٤٩
- ٧٧ - ينظر سبنسر ، التربية ، ص ٥٠
- ٧٨ - المصدر نفسه ، ص ٦٤
- ٧٩ - ينظر البقصي ، ناهدة ، الهندسة الوراثية والاخلاق ، ص ٦٨
- ٨٠ - سبنسر ، التربية ، ص ٧٢
- ٨١ - ينظر عطيه، احمد عبد الحليم، الاخلاق في الفكر العربي المعاصر، دار الثقافة للنشر، القاهرة ، سنة ١٩٩٠ ، ص ٤٩
- ٨٢ - ينظر سبنسر ، التربية ، ص ٧٢
- ٨٣ - ينظر بدوي ، السيد محمد ، الاخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة، سنة ٢٠٠٠، ص ٢٥٨
- ٨٤ - ينظر امام ، عبد الفتاح امام ، الاخلاق والسياسة، ص ١١٣
- ٨٥ - ينظر مابوت ، مقدمة في الاخلاق، ترجمة ماهر عبد القادر، دار النهضة العربية ، بيروت ، سنة ١٩٨٥ ، ص ١٨
- ٨٦ - ينظر *Spencer, The Principles of Ethics*, p.46 - ينظر⁸⁶
- ٨٧ - ينظر مابوت ، مقدمة في الاخلاق، ص ١٩
- ٨٨ - ينظر سبنسر ، التربية ، ص ٧٣
- ٨٩ - المصدر نفسه، ص ٧٤
- ٩٠ - ينظر عطيه، احمد عبد الحليم، الاخلاق في الفكر العربي المعاصر ، ص ٥٣
- ٩١ - ينظر سبنسر، التربية ، ص ٧٤
- ٩٢ - ينظر امام ، عبد الفتاح امام ، الاخلاق والسياسة، ص ١١٦
- ٩٣ - ينظر سبنسر ، التربية ، ص ٧٦
- ٩٤ - ينظر رسل ، براتراند، المجتمع البشري بين الاخلاق والسياسة، ترجمة عبد الكريم احمد، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ، بلا ، ص ١٢٨
- ٩٥ - ينظر سبنسر ، التربية ، ص ٧٧
- ٩٦ - ينظر برهيه، اميل ، تاريخ الفلسفة ، ص ٢٦
- ٩٧ - سبنسر ، التربية ، ص ٧٧-٧٨
- ٩٨ - ينظر برهيه، اميل ، تاريخ الفلسفة ، ص ٢٧
- ٩٩ - ينظر رجب، منصور علي، تأملات في فلسفة الاخلاق، مطبعة مخيمر للنشر ، القاهرة ، سنة ١٩٥٣ ، ص ١٥٥
- ١٠٠ - ينظر كريسون ، لاندره، المشكلة الاخلاقية والفلاسفة، ترجمة عبد الحليم محمود ، دار الشعب للنشر ، القاهرة ، سنة ١٩٧٩ ص ٢٢٦

- ١٠١ - سبنسر ، التربية ، ص ٧٩
- ١٠٢ - ينظر مرحبا، محمد عبد الرحمن، المرجع في تاريخ الاخلاق، جروس برس للنشر ، لبنان، سنة ١٩٨٨، ص ٢٦٢
- ١٠٣ - ينظر ضاهر، عادل، الاخلاق والعقل ، ص ٣٧٣
- ١٠٤ - ينظر سبنسر ، التربية ، ص ٨٠
- ١٠٥ - ينظر برهيه، اميل ، تاريخ الفلسفة ، ص ٢٨
- ١٠٦ - سبنسر ، التربية ، ص ٨٠
- ١٠٧ - ينظر كريسون ، لاندرية، المشكلة الاخلاقية والفلاسفة، ص ٢٨٨
- ١٠٨ - ينظر سبنسر ، التربية ، ص ٨١
- ١٠٩ - سبنسر ، التربية ، ص ٨٢
- ١١٠ - ينظر ضاهر، عادل، الاخلاق والعقل ، ص ٣٧٤
- ١١١ - ينظر الالوسي، حسام محي الدين، التطور والنسبية في الاخلاق ، دار الطليعة للنشر ، بيروت ، سنة ١٩٨٩، ص ١٠٥
- ١١٢ - سبنسر ، التربية ، ص ٨٣
- ١١٣ - ينظر ضاهر، عادل، الاخلاق والعقل ، ص ٣٧٥
- ١١٤ - ينظر كريسون ، لاندرية، المشكلة الاخلاقية والفلاسفة، ص ٢٩٠
- ١١٥ - سبنسر ، التربية ، ص ٨٤
- ١١٦ - ينظر روس ، جاكلين، الفكر الاخلاقي المعاصر ، ترجمة عادل عوا ، دار عويدات للنشر، بيروت ، سنة ٢٠٠٢، ص ١١٣
- ١١٧ - ينظر سبنسر ، التربية ، ص ٨٤
- ١١٨ - ينظر ليلي، وليام، مقدمة في علم الاخلاق، ترجمة علي عبد المعطي محمد ، دار المعارف ، اسكندرية، سنة ٢٠٠٠، ص ١٧٢-١٧٤
- ١١٩ - ينظر روس ، جاكلين، الفكر الاخلاقي المعاصر ، ص ١١٧-١١٩
- ١٢٠ - ينظر كريسون ، لاندرية، المشكلة الاخلاقية والفلاسفة، ص ٢٩١
- ١٢١ - ينظر الشرقاوي ، محمد عبد الله ، الفكر الاخلاقي، دار الجيل للنشر ، بيروت، سنة ١٩٩٠، ص ١٨١
- ١٢٢ - ينظر كريسون ، لاندرية، المشكلة الاخلاقية والفلاسفة، ص ٢٩٥